مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة يوسف: ١١١

كانت « بلاد الشام » على الدوام بالنسبة للعرب – قبل الإسلام وفي فجره – هي المنطقة الواقعة إلى الشمال من شبه الجزيرة العربية بإستثناء الزاوية الشمالية التابعة « لأهل المصرَين: البصرة والكوفة » .

لقد كانت لطبيعة وجغرافية بلاد الشام بالإضافة إلى موقعها المتوسط بين دول الشرق الأوسط أثر كبير على تاريخها؛ فقد كانت منذ زمنٍ بعيد تقوم بدَور الوسيط بين الحضارات النهرية الكبرى: حضارة الرافدين وحضارة وادي النيل، وبين الحضارات البحرية التي كانت تتخذ البحر المتوسط طريقاً لها، كالحضارة اليونانية. ولم يكن هذا الموقع الجغرافي مسؤولاً عن دور الوسيط الذي لعبته فحسب، بل كان مسؤولاً عن مزاجها الحضاري، فقد كانت في موقع وسط بين العالم السامي من ناحية، وبين العالم الإيجي من ناحية أخرى، كما أنها كانت متأثرة بآسيا الصغرى وحضاراتها المختلفة. وكان لموقع بلاد الشام أكبر الأثر في عبور كثير من الهجرات خلال فترات التاريخ المختلفة؛ فقد عبرته كل الطرق البرية بين البحر المتوسط والخليج الفارسي عن طريق ممرات طبيعية خاصة هيّأتها الطبيعة حيث عُرِفت سوريا باسم المعبر السوري.

ونظراً لأهمية هذه الحضارة بين حضارات العالم القديم فقد قدم المؤلف هذا الكتاب في شكل بانوراما من خلال نظرة عامة مختصرة لأسباب نشأتها ومظاهرها. وقد راعى أن يكون العرض مبسطاً ليتناسب مع كافة مستويات القراء .

راجياً من المولى عز وجل أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون نافعاً لكل من يقرأه .

ويهدي هذا المُؤَلّف إلى أرواح شهداء ليبيا الأبرار، وإلى روح أبيه الطاهرة، وإلى أبناء عمومته في ليبيا ومصر .

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة هود: ٤٩

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ

المُؤلف

د. محمد علي

تمهيد

إنّ حضارة بلاد الشّام تشمل جميع الحضارات التي قامت عبر التاريخ في بلاد الشام التي تمتدّ من الجهة الغربية أي من سواحل البحر الأبيض المتوسّط، لتصل إلى الجهة الشرقيّة أي ما يعرف بالجزيرة السّورية، حيث تعاقبت حضارات كثيرة في هذه المنطقة من بلاد الشّام والتي تعرف بسوريا القديمة؛ ومن أهمّ هذه الحضارات (الآراميّة – الفينيقيّة – الكنعانيّة – الآشوريّة – الأكاديّة .. وغيرها) .

في عام ٢٥٠٠ ق.م هاجر كلّ من الكنعانيّين والأموريين؛ حيث استوطنوا جنوب بلاد الشّام، وبسبب الاختلاف بين الشعوب؛ فإنّ الأموريّون قد تأثّروا بحضارة السومريّين التي كانت سائدة في المناطق الداخليّة لسوريا وأيضاً في مناطق ما بين النهرين، وكذلك تأثّروا بحضارة الأكاديين، وكذلك كانت الدولة البابلية أمورية. بينما استقر الكنعانيّين في فلسطين خاصّة على سواحل بلاد الشّام. وقد قام اليونانيّين بإطلاق اسم (فينيقيا) على ساحل بلاد الشّام وتحديداً الجزء المتوسّط والشمالي منه، وأطلقوا بالتالي اسم (الفينيقيّين) على سكّان هذا الساحل وهم السوريين والفلسطينيّين واللبنانيين؛ والذين هم الكنعانيون. لم يكن الكنعانيون يفضلون الحروب ولكنهم كانوا يخوضونها فقط من أجل الدفاع عن أنفسهم؛ حيث بنوا عدّة ممالك؛ أهمّها: (حبرون، وطرطوس، ويبوس، وبيروت، وارواد، وصيدون، وبيسان، ومدين، وحيفا، وعكا، وصور) وغيرها.

وبالرغم من أنّ الآشوريون كانوا قد تمكّنوا من بسط سيطرتهم على الحكم في سوريا؛ إلاّ أنّ الآراميون استطاعوا هزيمتهم، وضمّوا بلاد الآشوريين إلى حكمهم

وأراضيهم؛ حيث حقّقوا الكثير من الازدهار لمملكتهم في ظل استقرار حكمهم الطويلة.

إنّ الحضارة القديمة لبلاد الشام كانت تولي أهميّة كبيرة في الكتابة والمكتبات، حيث وُجدت آلاف المخطوطات والرقم المكتوبة والوثائق في حضارة مملكة إيبلا أو ما تعرف بـ (تل مرديخ) والتي تقع في شمال سوريا؛ حيث نجد وثائق عن صياغة العقود التجاريّة، وأيضاً المعاملات المختصّة بأمور الزراعة. وقد وجد في بلاد الشّام أول أبجدية في التاريخ عرفت بـ (أبجدية رأس شمرا)؛ التابعة لمنطقة أوغاريت في سوريا؛ منقوشة على ألواح حجرية في الكتابة المسماريّة التي تبلغ أعداد حروفها ثلاثين حرفاً. وتبيّن الدراسات ما كانت تتمتّع به هذه المنطقة من مركزٍ تجاريّ هامٍ، إضافة لعدّة مناطق كمدينة جبيل التي تعرف بـ'بيبلوس' قديماً؛ حيث كانت لها علاقات مع باقي الحضارات وخاصّة المصرية؛ تتّصف بالمتانة. ولا نغالي إذا قلنا بأنّ الفينيقيّين هم الأكثر تفوّقاً بين الحضارات التي عرفت بالصناعات النسيجيّة من صوفية وقطنيّة وأيضاً الأقمشة، وخاصة اللون الأرجواني والذي يعني كلمة الفينيق التي نسبوا لها، ولا يغيب عن البال بأنّ الفينيقيّين هم أول من ركب البحر، وتفوّقوا في الصناعات الزجاجيّة.